

«ما الإنسان» - «מהו אדם»
بقلم عبد الحميد بن هدوقة (الجزائر ١٩٩٨)

من مجموعة «الازل والبندقية» - قصص ورسوم*



לאה גלזמן - תרגום ועיבוד

أبي،

ما الإنسان؟

غداً - قال المعلم - ندرس حقوق الإنسان!

أبي،

بالأمس - قال المعلم - قتلوا شرطياً له طفلان!

أبي،

لماذا يقتل الإنسان الإنسان؟

هل الأرض صغيرة

لا تكفي الإنسان؟

أبي،

* נמצא באינטרנט על-ידי ד"ר ניצה מעוז באתר הבא:

<http://www.awu-dam.org/book/98/stories98/65-a-h/ind-book98-so001.htm>

قال المعلم : خلق الله الإنسان وعلمه

البيان

فَمَنْ عَلَّمَ الْقَتْلَ الْإِنْسَانَ؟

أبي،

أحد أطفال المدرسة يأتي في سيارة

لها بابان مُدْهَبَانِ،

يخافه المعلم، ويخافه الصبيان!

قال المعلم : أبو هذا الطفل له على الناس سلطان!

أبي،

لماذا يخاف الإنسان الإنسان؟

أبي،

هل المرأة إنسان؟

شيخ الجامع قال : المرأة شيطان!

ولدي،

الإنسان له عقل وله وجدان

لا يقتل أخاه الإنسان

لا يخاف أخاه الإنسان

يُحِبُّ أَخَاهُ الْإِنْسَانَ

ولو اختلفت الآراء والأوطان

ولدي،

الأرض ليست صغيرة ولا كبيرة،

حجمها حجم عقل الإنسان

ולדי،
المرأة وطن،
وهي أم الأوطان!

ولدي،
عندما يسود الظلام
ييستوي الإنسان والشیطان
يستوي الجهل والعرفان
يستوي الكفر والإيمان
يستوي الحق والبُهتان
يستوي العدل والطغيان
يفقد الإنسان معنى الإنسان

מהו אדם?

מאת: עבד אל חמיד בן הדוקה (אלג'יר)

אבי,
מהו אדם?
מחר - המורה אמר - נלמד את זכויות האדם!

אבי,
אתמול - המורה אמר - הרגו שוטר
שיש לו ילדים שְׁנַיִם.

אבי,
מדוע הורג האדם את האדם?
האם הארץ קטנה
ואין בה די לאדם?

אבי,
המורה אמר: אלוהים ברא את האדם
ולמדו תורה ברורה.
מי, אפוא, למד את האדם להרוג?

אבי,
אחד מילדי בית הספר מגיע במכונית
שדלתותיה מוזהבות.
המורה פוחד ממנו וגם הילדים.
המורה אמר: אביו של הילד הזה שולט (יש לו שליטה) על בני אדם.

אבי,
מדוע פוחד האדם מן האדם?
אבי, האם האשה היא אדם?
שיח' המסגד אמר: האשה היא שטן.

ילדי,
האדם יש לו תבונה, יש לו מצפון.
אינו הורג את אחיו האדם.
אינו פוחד מפני אחיו האדם.
הוא אוהב את אחיו האדם,
גם אם שונות הן זו מזו ההשקפות, הארצות.

ילדי,
הארץ אינה קטנה ולא גדולה.
גודלה כגודל שכל האדם.

ילדי,
האשה היא מולדת,
היא אם המולדות.

ילדן,

בהשתרר האופל,

ישוו זה לזה האדם והשטן

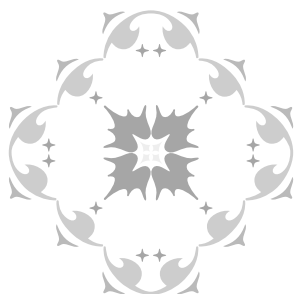
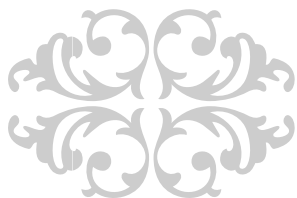
ישוו אז הבערות והחכמה

ישוו אז הכפירה, האמונה

ישוו אז האמת והכזב

ישוו אז הצדק והעוולה

יחדל אז האדם להיות אדם.



١ . ملاحظات تتعلق بالنوع (الجنس) الأدبي ، أو : هل أماننا «قصيدة»؟ كما يبدو فإنَّ أماننا «إعلان مواقف» (= «عقيدة» إنسانية واجتماعية) ذا مميزات شعرية شائعة ، من الناحية الفنية ، سيشار إليها فيما بعدُ . أماننا قصيدة تصريحية (שיק דקלרטיבי) تستغني عن مُدَوِّرات (מלאקפיס) استعارية أو أفنعة ورُموز وتشبيهات شعرية وليست لُغتها مجازية (פוגורטיבית) . مضممار حوادثها واقعي (ראליستي) وقيمتها برسالاتها ومضامينها وعبرتها . أماننا نصٌّ مُلتزم (טקסט מגוייס) ، له أهداف تربوية مُحددة ، شفافة ، تعكسُ رأيَ الشاعر واعتقاده .

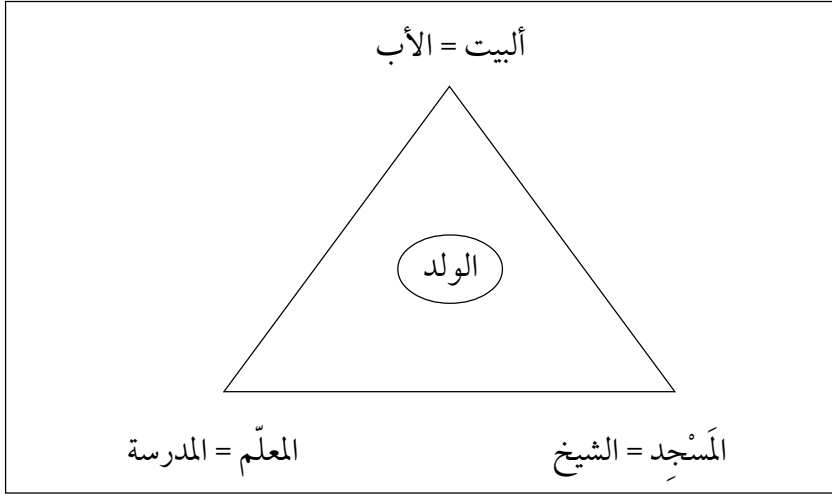
كثيرا ما يُعتبر الشعر والأدب أداة تغيير ووسيلة تقدّم!

٢ . ما هو هيكل / بنية (שלד/קומפוזיציה) النص؟ يُشبهُ الإطار الشامل أسلوب الحوار «شبه السقراطي» بين ولد ووالده (بين الابن والأب) وللحوار في ذاته خصائص مسرحية بارزة . يستجوبُ الولد أباهُ وهو بمثابة «اللوح الأبيض» (Tabula Rasa) - طارحًا عليه أسئلة ساذجة . ترسو هذه الأسئلة في البيئات الثلاث المتتامة (המשלמות ٢٢٢) التي ينمو ضمنها الولد والتي تُشكّل مصادر أو عوالم تكوين شخصيته (مقורות لا يلاوب ايشיותو) .

٣ . ما هي البيئات الثلاث المشار إليها في النص ، بمثابة مصادر تأثير وتنمية ، نفسيًا وعقليًا (אינטלקتואلية) وأخلاقيًا؟

- ١ . يُشار أولًا إلى بيئة المدرسة : مصدر التربية الرسمية التي يُمثّلها المُعلّم .
- ٢ . وثانيًا إلى بيئة البيت ، التي يُمثّلها الأب ، صاحب الصلاحية العليا في نطاق العائلة .
- ٣ . وثالثًا إلى بيئة المسجد : إطار التربية المثريّة ، نصف الرسمية ، المُكملة ، على ما يلوح ، للتربية الرسمية (كثيرًا ما يشكّل المسجد أو الكتاب ، إطار التربية الوحيد في المجتمع الموصوف) .

وليست صدفةً أنّ ممثلي هذه الأطارات كلهم ذُكُورٌ ، فإنّ النظام الاجتماعي المشار إليه هو نظام بطريركي (משטר פטריארכלי) تقليديًا ، والآباء (= الذُكور) هم المسؤولون فيه عن تطوّر الأطفال ونموهم ، من جميع النواحي .



وقد يُخلَقُ بين هذه العوامل الثلاثة تباين وتفاوت، وحتى علاقة استقطاب وتناقض، حسب ما نلقاه في النصّ.

٤ . ما هو المُحدثُ المُباشرُ الفُوريُّ ("هترينغر"، המחולل הישיר והמיידי) الذي يُسبِّبُ

الحوار بين الولد والأب؟

يُكْمَنُ ذلك المُحدثُ في التّجارب المدرسيّة التي يمارسها الولد: ما قد سمعه أو رآه في إطار المدرسة، وبصورة فوريّة يُثير هذا الحوارَ كلامَ المُعلِّم عن موضوع «حقوق الإنسان». يُستنتجُ من ذلك أنّ محورَ النصّ وأنّ الموضوعَ المهيمنَ فيه إنّما هو موضوع حقوق الإنسان مع فروعهِ المختلفة. (فليُتَبَّهَ لكتاب سعاد الصباح «حقوق الإنسان في العالم المعاصر» ففيه فصل مكرّسٌ لحقوق «الجماعات الضعيفة أو المُستضعفة»، ص ٨٤ إلخ).

٥ . يُرجى التقاط الأسئلة التي يُوجَّهها الولد إلى أبيه:

I . ما الإنسان؟ (سؤال «فلسفي» شامل . . .)

II . لماذا يقتل الإنسان الإنسان؟

III . هل الأرض صغيرة/ لا تكفي الإنسان؟

IV. من علم القتل الانسان؟ يظهر هنا المفعول به الثاني (המושא הישיר השני) قبل المفعول به الأول (המושא הישיר הראשון)، ذلك لأسباب فنيّة: («ضرورة الشعر») / «رخصة شعريّة» تتجاهل القواعد المألوفة.

V. لماذا يخاف الإنسان الإنسان؟

VI. هل المرأة إنسان؟

إن ترتيب أجوبة الأب يُلائم ترتيب أسئلة الولد وعلاوةً على ذلك فمن الواضح أنّ السؤال والجواب الأخيرين يُكوّنان ذروة الحوار حول مسائل العدل والظلم في المجتمع الموصوف وفي العالم أجمع.

6. إلى ما يُشارُ في إعلان شيخ المسجد بأنّ «المرأة شيطان» وما هي خلفيّة، أو مصادر، هذا الإدراك؟ أمانا - لا محالة - ما يُسمّى بشيطنّة المرأة (דמוניזציה של האשה). تُتبعُ شيطنتها من مُجرّد كونها امرأة، وهي تُدرِكُ كـ «ليليت» ملكة الشياطين، يعني كمصدر إغواء وإغراء وفتنة، يُهدّدُ مُسلمات النظام الاجتماعي والثقافي النموذجي (הنורמטיבי).

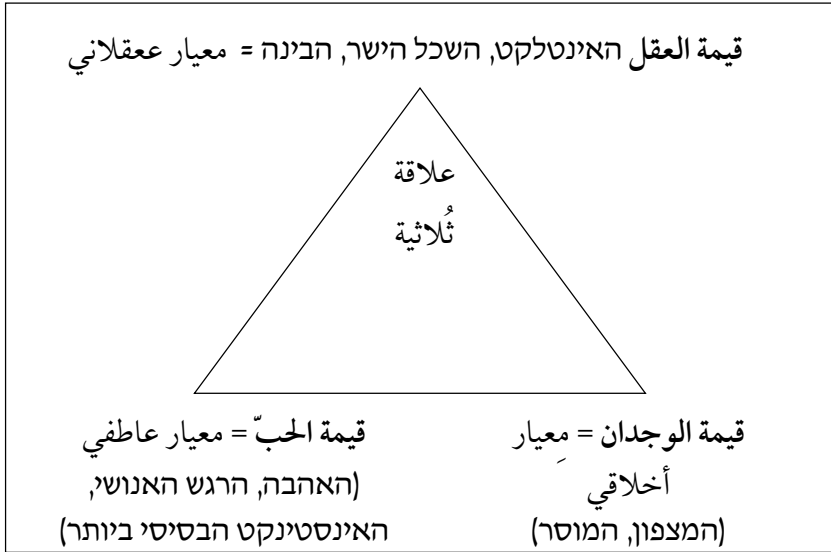
فليُلاحظ أنّ المرأة كانت تُعتبر في بعض حضارات ما قبل الحداثة مخلوقاً ما بين الإنسان والحيوان وكذلك وضعوها تقليدياً في أدنى السلم الاجتماعي النموذجي إلى جانب الأسود (يُرجى النظر في كتابين تُعالج فيهما هذه المواضيع: I. "חוח ולילית" מאת ניצה אברבאנל. II "היהפוך כושי לזר" מאת פרופ' אברהם

מלמד. III في مجموعة الأقوال «المرأة من هي»)

يُستتج من هذا التحديد الشعاري الجاهل المتخلف، المُعوج، البدائي (נחשל، מעוות، פרימיטיבי) أنّ معاملة المرأة ومواقفها في المجتمع المعاش تُحوّل في هذا النصّ معياراً رئيسياً لتقييم المجتمع من الناحية الأخلاقية ومُطلقاً (נקודת מוצא) جوهرياً لتقرير مصيره ومُستقبله.

7. تحليل أجوبة الأب حسب ترتيبها: يربط الأب بواسطتها بين ثلاثة عوامل، يُقرّر وجودها أو عدمها طبيعة العلاقات الإنسانية ونوعية الحياة في العالم، كما يلي:

علاقة القيم الثلاثية:



تُعْرَضُ هذه العلاقة الثلاثية بديلاً للخوف الذي ينتج منه القتل (أو ظاهرة عبادة الموت - فولخون المוות) وللإخلال بقداسة الحياة. يُذَكَّرُ أَنَّ الشاعرة الكويتية سعاد الصباح تقول في قصيدتها «تعريف جديد للعالم الثالث»:

«لأن الحب عندنا انفعال من الدرجة الثالثة/ والمرأة عندنا مواطنة من الدرجة الثالثة/ وكتب الشعر كتب من الدرجة الثالثة / يُسَمُّوننا شعوب العالم الثالث»

إذا فأماننا عقيدة إنسانية شمولية (أونبرسل) ليست لها صيغة ديانية معينة، فإنه من وجود تلك القيم / المعايير الثلاثة أو عدم وجودها في حياة الناس تُشتقُّ السلوكيات والتصرفات في مختلف المضامير وتُحدِّدُ العلاقات والتفاعلات بين الأفراد وبين الاعتقادات والآراء كما بين الشعوب والأوطان، ومن ثمة فإن اختلاف الآراء ليس بسبب ولا بمبرر حقيقي بل إنه عذيرةٌ فحسب للخوف والعداوة والقتل.

هكذا تُجَعَلُ حالة المرأة في المجتمع وطريقة رؤيتها ومعاملتها منشوراً جوهرياً (فريزما מהותית - لكارونيت) لفحص طبيعة المجتمع ولتشخيص آفاته الأخلاقية:

٨ . إن شَيْطَنَةَ (دمونيزيا) المرأة - «شيخ الجامع قال المرأة شيطان» تعني على البديهة (ميناها وبها) إباحة دمها وإعطاء الرخصة لقتلها، وتدُلُّ على ذلك ظاهرة قتل المرأة على ما يُسمى بشرف العائلة!

ولا شكَّ في أنَّ مصدرها النفسي، كما هي الحال في كل ظاهرة تعكسُ شَيْطَنَةَ الآخر (الدمونيزيا של האחר)، هو الخوف منها، وقد أشاروا إلى المواءمة (קורולציה، מתאם) الوثيقة بين ظاهرة بُغضِ النساءِ وقمعهنَّ وبين ظاهرة الإرهاب، فالسُّلْسِلَةُ الموصوفة هي كما يلي:

الخوف (= البُغْض) ← الشَيْطَنَةُ ← القتل .

هكذا يُعبَّرُ في النصِّ عن التَّسَلُّسُلِ العُضْوي (השתלשלות אורגנית) من الإعلان «الأرض ليست صغيرة ولا كبيرة، حجمها حَجْمُ عقل الإنسان» إلى الإدراك والقَوْلَةُ: «المرأة وطن / وهي أمُّ الأوطان» .

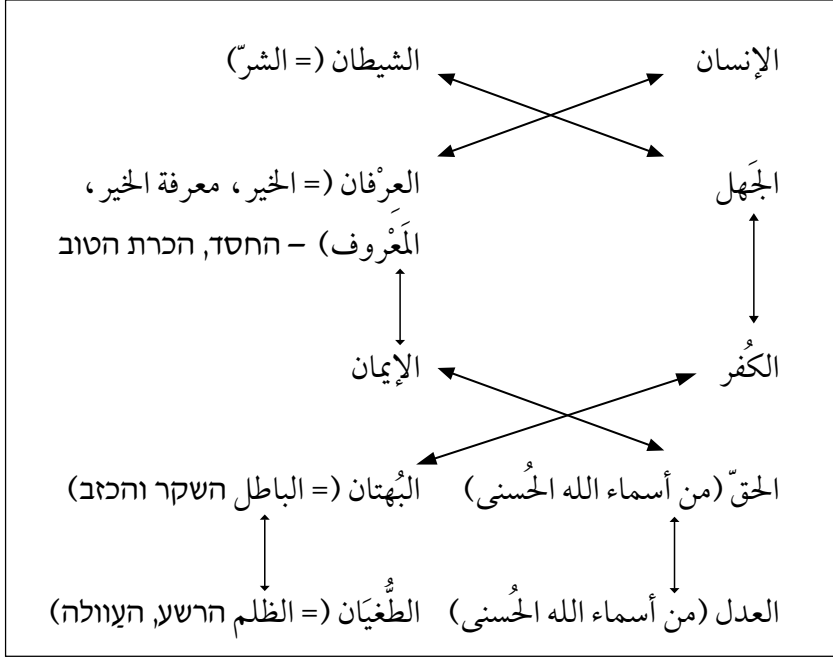
أمامنا موقف من التمجيد للمرأة والتعظيم لها (האדרת האישה והגלוריפיקציה שלה) الذي يذكِّرنا بسُطور من شعر الأثني لنزار قباني، وخصوصاً من قصيدته «لماذا أكتبُ»: «أكتبُ كي أنقذَ من أحبَّها من مُدُنِ اللاشعور واللاحبِّ والإحباط والكآبة/ أكتبُ كي أجعلها رسولةً / أكتبُ كي أجعلها أيقونةً / أكتبُ كي أجعلها سحابةً / لا شيء يَحْمِينا من الموت / سوى المرأة والكتابة» .

وفي قولة أخرى له: «وهل الوطن سوى المرأة؟!»

٩ . إدراك المرأة كالقيمة العليا وكالكيان الأسمى مُرتبط بثلاثية العقل والحبِّ والوجدان، وعلى هذا الأساس يعرض علينا الشاعر إدراك حُرِّيَّة الاختيار، الذي معناه كون الإنسان مُخيَّراً من طبيعته وليس مُسيَّراً .

١٠ . يُمثِّلُ شيخ الجامع بشخصيته وبارائه الظلام المطلق الذي يخشى الشاعر ويُقلِّقُ من إمكانية تسلُّطه على المجتمع الموصوف والعالم أجمع، ومن هذا المنطلق تنبع سلسلة المُتضادَّات التي إذا استوت فَمِنْ شأنها أن تُؤدِّيَ إلى تدمير العمران وفقدان الإنسانية إطلاقاً . يُرجى في سياق معالجة هذه النقطة أن يُلفتَ المُعلِّمُ اهتمام الطلاب إلى

حوادث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، تلك الحوادث المأساوية التي جسّدت تحقّق إنذار الشاعر ورؤياه، كما يتمثلان في السطور الأخيرة من القصيدة. هيكل ترتيب المتضادات كما يظهر في هذه السطور بأسلوب الشبّك والتصالب:



يستخدم هنا الشاعر مصطلحات ومفاهيم تقليدية من مضممار الدين، ما يُسمّى بـكودات أو بشفّار تاريخية - ثقافية، إلا أنه «يصبُّ» في قوالبها المضامين والإدراكات المُجدّدة المعاصرة، ذات الصلة الوثيقة بجريان الحياة وبالقيم الإنسانية الشمولية، فإنّ تجاه شعارات «شيخ الجامع» المتمسّك بأراء وبمواقف متخلّفة، متزمتة، مُجمّدة، معوّجة، مدمّرة يعرض الشاعر خياراً بناءً عقلاً وإنسانياً عادلاً. يعكس هذا الخيار تفسيراً إيجابياً وأخلاقياً للمفاهيم التقليدية الجامدة، ممّا يُدكّرنا بما تقوله الكاتبة نوال السعداوي، في مقالتها عن الحرية: «لسنا ضد الدين فالله هو الحق والعدل والحرية، ويمكن للدين حسب التفسيرات المختلفة أن يكون مع الحق والعدل والحرية أو ضدها» (من معركة جديدة في قضية المرأة، القاهرة، ١٩٩٢)

أ. لتوضيح مفهوم الأدب / الشعر الملتمزم (ספרות / שירה מגויימת) ففيما

يلي أقوال وتحديدات حوله :

يَجْعَلُ الالتزامُ الأديبَ ذا تأثيرٍ فعَّالٍ في المجتمع ، بحيثُ يُصَوِّغُ القيمَ والأفكارَ والمبادئ التي تبني المجتمع .

وذلك نقيض الأدب الخوائي العدمي (ניהיליסטי) الذي لا يبشر بقيم ومبادئ ولا يكون له دورهُ في بناء المجتمع وإصلاحه ، مثل أدب الفنِّ للفنِّ (אמנות לשם אמנות) هكذا يقولُ نزار قباني : «إنَّ للأديب مكانَ البناء في المجتمع والكثير من أدبنا أصبح بلا مضمون اجتماعي مُستفاد وبدون المدلول الاجتماعي الذي يُحرِّكُ القيم والمعاني . . ويخلق التغيير الجذري في مجرى حياتنا» .

الالتزام الأدبي مفهومهُ التزام الكاتب أو الشاعر بالإسهام الواعي في القضايا الإنسانية الكبرى : السياسية والاجتماعية والفكرية . . ويقولُ ميخائيل نعيمة : « وليس كالأدب (بما في ذلك الشعر) مسرِّحًا ، يظهر عليه الإنسان بكلِّ مظاهره الروحية والجسدية ففي الأدب يرى نفسه ممثلًا ومُشاهدًا في وقتٍ واحد . . . »

ب. الظواهر والوسائل الشعرية المُستخدَمة في النصّ :

١ . عنصر القافية أو تشابه الأصوات (= تجانس الجرس الصوتي) يتردُّ

طول النصِّ حيثُ يُصدِّه صوتٌ مهيمٌ :

[-ان: إنسان / طفلان / بيان / مذهبان / صبيان / سلطان / شيطان /

وجدان / أوطان / عرفان / إيمان / بهتان / طغيان .

هكذا يُخلق إطار موسيقي مُكتمل . للنصِّ ، يُحوِّله «قصيدة» . . .

٢ . تتكرَّر فيه كلمة الـ [إنسان] ، سبع عشرة مرَّة بمثابة مدلول وصوت معًا ،

مما يُعظِّمُ الجوّ الانفعالي وعنصر الحماس الشعري ويؤكد على «عقيدة» الشاعر ورؤياه ذات الصبغة النبوية .

٣ . يُحدِّد مفهوم الإنسان طول النصّ على وجهين : بصيغة إيجابية
وبصيغة سلبية كما يلي :

الإنسان له عقل له وجدان / لا يقتل أخاه الإنسان

يُحبُّ أخاه الإنسان / لا يخاف أخاه الإنسان

ج . ١ . يوصى بالنظر في الفصل الرابع (٢٦٦٢) من الكتاب (بقلم ن. ١٩٦١م)
اسلاممיון: "אשה, משפחה, מין ומוסר" (لما' 199-249).

٢ . أمامكم أقوال عن المرأة تنعكس فيها شَيْطَنَةُ المرأة والخوف منها من
مجموعة «المرأة من هي» :

- إحدروا المرأة التي تتسم دون سبب .
- الرجلُ أَلْعُوبَةُ المرأة والمرأة أَلْعُوبَةُ الشيطان .
- المرأة أَلَمٌ دائم الوجود .
- المرأة إحدى العَلَطَات الجميلة التي ارتكبتها الطبيعة .
- إبتلع الشيطان امرأة فلم يستطع أن يهضمها .
- أجمل امرأة عندي تلك التي لم أرها .
- لم يخلق الله النساء إلا لترويض الرِّجَال .
- يَوْمَ تُصْبِحُ المرأة مُتساوية للرجل تُسمى سيِّدة .

